**الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية**

**وزارة التعليم العالي والبحث العلمي**

**جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية قسنطينة**

**كلية الآداب والحضارة الاسلامية**

**قسم اللغة العربية**

**الملتقى الدولي حول:**

**الحديث النبوي الشريف وآليات تحليل الخطاب**

**عنوان المداخلة: البيان النبوي الشريف ودوره في تأسيس الدرس البلاغي**

**–الاسم: صباح اللقب: قيرة.**

**–الوظيفة: أستاذ محاضر (ب ) _الرتبة العلمية : دكتوراه علوم.**

**–المؤسسة: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.**

**–الهاتف:0665909131 / 0777242995**

**_البريد الإلكتروني: g.sabah2019@gmail.com**

**–الفاكس: 038.98.33.58**

**–محور المشاركة: الحديث النبوي الشريف وجهازه المفاهيمي .**

**–عنوان المداخلة: البيان النبوي الشريف وأثره في تأسيس الدرس البلاغي .**

**الملخص:**

يعد الحديث النبوي الشريف القطب الثاني بعد القرآن الكريم الذي تدور حوله مختلف المجهودات الفكرية واللغوية والعقائدية، إذ اتخذ من شكله اللغوي حجة لنبوته- صلى الله عليه وسلّم- وارتقى من مجرد خطاب تواصلي تنتهي وظيفته عند بلوغ الرسالة إلى بيان اعتقاد وتشريع مما دفع هذه الجهود إلى الخوض في مسائل تتعلق بخصائص البيان النبوي لغة وتركيبا، بما يسهم في التأسيس للدرس البلاغي، ويخلق نهجا من التأليف.

سيما وأن الخلفية العقائدية وما نتج عنها من ضرورات منهجية في البيان النبوي كانت من السمات الأساسية والقارة في التفكير البلاغي.

**Summary**:

The noble Prophet's hadith is the second pole after the Holy Qur'an around which various intellectual, linguistic and ideological efforts revolve.

Belief and legislation, which prompted these efforts to delve into issues related to the characteristics of the prophet's statement, language and structure, which contributes to the foundation of the rhetorical lesson, and creates an approach of authorship.

Especially since the doctrinal background and the resulting methodological necessities in the prophetic statement were among the basic and persistent features of rhetorical thinking.

**Résumé**:

Le hadith du noble Prophète est le deuxième pôle après le Saint Coran autour duquel s'articulent divers efforts intellectuels, linguistiques et idéologiques.

La croyance et législation, qui ont poussé ces efforts à approfondir les questions liées aux caractéristiques de la énoncé, langage et de la structure, qui contribue à la fondation de la leçon de rhétorique et créent une approche de la paternité.

D'autant plus que l'arrière-plan doctrinal et les nécessités méthodologiques qui en résultent dans l'énoncé prophétique faisaient partie des caractéristiques fondamentales et persistantes de la pensée rhétorique.

**مقدمة:**

اتصل البحث البلاغي في التراث العربي بموضوع إعجاز القرآن وحظيت الدراسات البلاغية المرتبطة بالإعجاز بعناية كبار أهل العلم أمثال الجاحظ والباقلاني والجرجاني وغيرهم، مما جعل حظ الحديث النبوي في الدراسات البلاغية ضئيلا إذا ما قورن بالدراسات القيمة التي عنيت بالقرآن وقضية الإعجاز، لأنّ العناية بالحديث في القرون الأولى كانت منصبة على جمع السنة وتدوينها ومعرفة الصحيح من المنتحل، وهذا العمل العظيم شغل العلماء عن دراسة الحديث النبوي من الوجهة البلاغية.

ولكن هناك لفتات مهّمة عند بعض علماء البلاغة بداية بالجاحظ مرورا بالجرجاني ,لتبلغ عند ابن الأثير والعلوي عناية فائقة ,والطيبي الذي ألّف في بلاغة الحديث كتابه:" الكاشف عن حقائق السنن".

وهذه المداخلة الموسومة: "البيان النبوي الشريف ودوره في تأسيس الدرس البلاغي" محاولة لإبراز بعض الخصائص البلاغية للبيان النبوي التي تسهم في التأسيس للدرس البلاغي وتخلق نهجا خاصا في التأليف سيما وأنّ الخلفية العقائدية وما تنتج عنها من ضرورات منهجية في البيان النبوي كانت من السمات الأساسية التي طبعت التفكير البلاغي.

وتهدف هذه المداخلة إلى:

-خدمة البيان النبوي الذي لم ينل حظّه من الدراسة الأسلوبية حتى الآن.

-الإسهام في تعميق دراساتنا للسان العربي، لا سيما وأن المتكلم هو سيد الفصحاء وإمام البلغاء محمد ﷺ.

-السعي إلى إضفاء الصبغة الحديثية على الدرس البلاغي.

## 1-مفهوم البيان:

جعل الله تعالى البيان خاصية من خصائص الإنسان، وقد جاء بمعنى الكشف عن المقصود، والتعبير عن مكنون النفس [1] وبهذا المعنى وردت في قوله تعالى:﴿**خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)**﴾[2] وفي حديثه ﷺ:

---

[1]-ينظر: الشريف الرضي، المجازات النبوية، تصحيح: مهدي هوشمند، دار الحديث، ط1(1422هـ)، ص06.

[2]-سورة: الرحمان، الآية: 4.

«إنّ من البيان لسحرا »[1]. أي إنّه يبلغ في روعته وشدّة تأثيره في النّفوس حد السّحر.

وإذا كان الجاحظ (ت255هـ) من الأوائل الذين وضعوا أسس علم البلاغة فقد جاء البيان عنده جزء من كتابه المشهور: "البيان والتبيين" كما أنه أفرد بابا في هذا الكتاب سماه " باب البيان" . وأول تعريف له عنده: «والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله تبارك وتعالى يمدحه ويدعو إليه، ويحثّ عليه، بذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب وتفاضلت أصناف العجم.» [2] ثم يعطي له معنى واسعا بقوله: «والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع الى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان .... لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع » [3].

وظاهر هذه العبارة أنّه بصدد تعداد أصناف الدلالات ووسائل الفهم، والإبانة عمّا في النفس. أما إذا انتقلنا إلى البيان بالمعنى الفني الأدبي، فإنّه ينحصر حينئذ في التعبير باللفظ المنتقى، وبذلك يلتقي مفهوم البيان مع مفهوم الفصاحة والبلاغة.

**-البيان النبوي:**

كان النبي ﷺ أفصح الخلق على الإطلاق وأبلغ من أعجزت بلاغته الفصحاء على جهة العموم والاستغراق[4] وكان لا يقول إلّا الحقّ، ولا ينطق إلا بالحكمة، إذ كان حديثه (عليه الصلاة والسلام) مضرب المثل، وموضع الدهشة، ومحل الإعجاب، وكان لكلامه هيبة، محكم المبنى، غزير المعنى، حسن العبارة، سلس الأسلوب، بليغ، يستميل النفوس، ويأخذ بمجامع القلوب.

وكان لا يتكلّف في القول، ولا يتصنّع، سليم المنطق، ليس في كلامه حشو، ولا سقط ولا بذاء ولا هزل ولا عوج، إذا تكلّم خشعت القلوب من جلال العظة، وإذا خطب انقطعت الشبه ببلاغة الحجة، وامتلأت النفوس اقتناعا بالحقيقة حتى أضحت هذه البلاغة النبوية دليلا ساطعا على صدق رسالته، وكان أصحابه إذا جلسوا

---

[1]-الحديث رواه البخاري، في صحيحه، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ط1(1423هـ-2002م)، ح رقم: 5767، باب: "إن من البيان لسحرا"، ص1460.

[2]-الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر)، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7(1418هـ-1998م)، ج75/1.

[3]-المصدر نفسه، ج76/1.

[4]-ابن الطيّب الفارسي، فيض نشر الانشراح من روض طيّ الاقتراح، تح: محمود يوسف فجّال، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الإمارات العربية المتحدة –دبي، ط1(1421هـ - 2000م)، ج446/1.

عنده كأن على رؤوسهم الطير[1] إجلالا له، وترقّبا لحديثه الشريف.

ولقد أيّد الله تعالى نبيّــه ﷺ بمعجــزة القرآن وحجّة البيان، قال تعالى: ﴿**وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا**﴾[2] وأمر تعالى بعد أن أوحى إليه أن يخاطب قومه بالقول البليغ فقال: ﴿**وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا**﴾[3].

ومع هذه الشهادة العظيمة من الله تعالى تتابعت كلمات العلماء، وأئمة البيان قديما وحديثا في الإشادة بكلامه ﷺ، إذ قال عنه الجاحظ (ت255هـ) قولا مطوّلا جمع فيه من عجائب الحسن والجمال ما لم يسبق إليه إذ يقول: «هو –أي كلام نبينا محمد–عليه الصلاة والسلام–الكلام الذي قلّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصّنعة، ونزّه عن التكلّف... استعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلّا عن ميراث حكمه، ولم يتكلّم إلّا بكلام قد حفّ بالعصمة ... وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه، وغشّاه بالقبول، وجمع بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلّة عدد الكلام هو مع استغنائه عن إعادته، وقلّة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة، ولا زلّت له قدم، ولا بارت له حجّة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذّ الخطب الطوال بالكلام القصير، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتجّ إلّا بالصدق ولا يطلب الفلج [4] إلّا بالحقّ، ولا يستعين بالخلابة[5]، ولا يستعمل المؤاربة[6]، ولا يهمز ولا يلمز[7]، ولا يبطئ ولا يعجل، ولا يسهب ولا يحصر، ثم لم يسمع الناس بكلام قطّ أعمّ نفعا، ولا أصدق لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح عن فحواه من كلامه ﷺ ...» [8].

وهو أوّل نصّ في هذا الباب تناول عرضا موفورا لخصائص الحديث النبوي من رجل صناعته تفقّد الكلام، وتحسّس مواضع الحسن فيه، وفي كلام الجاحظ، إشارات للأصول البلاغية التي يخرّج عليها كلام النبي ﷺ، من الفصاحة ومراعاة الأحوال والإيجاز وغيره.

---

[1]–ينظر: صحيح البخاري، ح رقم: 2842، باب (فضل النفقة في سبيل الله)، ص03.

[2]–سورة: النساء، الآية: 133

[3]–سورة: النساء، الآية: 63

[4]–أي الفوز والظفر.

[5]–هي الخديعة برقيق الحديث.

[6]–هي الالتواء في الكلام والرياء والخداع.

[7]–لا يغتاب ولا يعيب.

[8]–الجاحظ، البيان والتبيين، ج2/17-18.

وكأنما الجاحظ أحسّ بوجود من سيأخذ عليه هذا الإطناب في الثناء فقال: « ولعلّ بعض من لم يتسع من العلم، ولم يعرف مقادير الكلام، يظن أنّا تكلفنا له في الامتداح والتشريف، ومن التزيين والتجويد ما ليس عنده، ... كلا ! والذي حرّم التزيّد على العلماء، وقبّح التكلّف عند الحكماء...لا يظنّ هذا إلا من ظلّ سعيه...» [1].

وقال الزمخشري (ت538 هـ): «النبيّ العربيّ المستلّ من سلالة عدنان، المفضّل باللّسان، والذي استخزنه الله الفصاحة والبيان» [2].

## 2- البيان النبوي: خصائصه وأثره في الدرس البلاغي:

### أ- خصائص البيان النبوي :

يمتاز الحديث النبوي الشريف بخصائص بلاغية وسمات بيانية هي في حقيقة الأمر من صميم الدّرس البلاغي بمختلف فنونه وفروعه، فلو اكتفينا بشواهد الحديث النبوي فقط في التّأصيل البلاغي لأدّت الغرض على أكمل وجه .

وسأورد بعض خصائص الحديث النبوي من باب التمثيل لا الحصر، ولا أدّعي في هذا السبق أو الإحاطة بكل خصائصه ومميزاته، لأن حديثه ﷺ كالرّوضة الغنّاء، فيها من كل نبت كريم، ففيها أبدع الحكم، وأجمع الكلم، وأروع الأساليب وأعظم الهدايات وأكمل التشريعات.

والرافعي يقول: «كلام النبي ﷺ كلما زدته فكرا زادك معنا»[3].

- **سهولة المعاني ووضوح الألفاظ** وحسنها في كلامه ﷺ فحديثه واضح العبارة، حلو الديباجة، مشرق المعنى مع قوة البناء، وقد عقد ابن القيم الجوزية فصلا في كتابه "زاد المعاد" قال فيه: «فصل في هديه ﷺ في حفظ المنطق، واختيار الألفاظ».

ثم قال: «كان عليه الصلاة والسلام يتخيّر في خطابه، ويختار لأمته أحسن الألفاظ، وأجملها وألطفها، وأبعدها من ألفاظ أهل الجفاء والغلظة والفحش»[4].

وكان إلى ذلك يكره التشدّق[5] والتّفيهق[6]، والإكثار من الكلام في غير حاجة، ولا يتكلم فيما لا يعنيه،

---

[1]-الجاحظ, البيان و التبيين، ج18/2.

[2]-جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1(1419هـ-1998م)، ج16/1.

[3]-مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، المكتبة العصرية، صيدا –بيروت، 2002م، ج08/3.

[4]-ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت –لبنان ط3( 1418هـ - 1998م)، ج320/2.

[5]-هو التكلم بملءِ الشدق تفاخرا .

[6]-هو الكلام بملا الفم، استعلاء وإظهارا للفضل.

ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه[1].

**-مراعاة أحوال المخاطبين:**

إذ كان ﷺ يراعي المقامات، والمواقف والأحوال، والبلاغيون يقولون: «البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته: «ومن شواهد ذلك ما رواه أنس ﷺ أنّ النبي ﷺ قال لمعاذ ﷺ وكان رديفه على الرّحل: «يا معاذ بن جبل، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال يا معاذ: قال لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثا، قال: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرّمه الله على النار، قال معاذ: يا رسول الله: أفلا أخبر به الناس فيستبشروا ؟، قال: «إذا يتّكلوا »[2].

وكرّر النبيّ ﷺ نداءه لمعاذ ليقبل إليه بكامل سمعه لتلقي هذه البشارة العظيمة، وخصّ معاذ بن جبل بهذا الخبر لفضله وعلمه، ولأن مثله لا يمكن أن يدع العمل والسعي قال العيني شارح البخاري في شرح هذا الحديث: «وخصّ معاذا بهذه البشارة العظيمة دون قوم آخرين مخالفة أن يقصّروا في العمل متّكلين على هذه البشارة»[3].

وفي هذا مراعاة لمقام معاذ بداية ثم مراعاة لحال النّاس: «فلكل مقام مقال».

ومن ذلك أيضا وصية النّبيّ ﷺ لكل رجل بما يناسب حاله، فقد أتاه رجل فقال: «أوصني يا رسول الله، قال: «لا تغضب»[4] ولم يوصه بما هو أعلى من ذلك كتقوى الله والإيمان، قال العلماء: «ولعل السّائل كان غضوبا لذلك أمره بما هو أولى به»[5].

**-ومن سمات حديثه ﷺ اختصاصه :**"بجوامع الكلم" أو كما قال ﷺ[6].

قال البلغاء: « أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره »[7].

وعند ابن الأثير أن جوامع الكلم: « هي الجامعة للمعاني المقصودة على إيجازها واختصارها»[1]

---

[1]-ينظره ابن القيم، زاد المعاد، ج175/2.

[2]-رواه البخاري، في صحيحه، ح رقم: 128، باب: من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية الا يفهموا، ص45

[3]-بدر الدين العيني، عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1 (1421هـ -2001م)، ج310/2.

[4]-رواه البخاري، في صحيحه، ح رقم: 6117، باب: "الحذر من الغضب"، ص1529.

[5]-ينظر: فتح الباري، ج536/10.

[6]-يقول ﷺ: " فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب..." الحديث رواه مسلم، في صحيحه، ح رقم: 523، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، ص237.

[7]-ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ج73/1.

وكان إيجاز الكلام خصيصة لبيانه ﷺ، وجعل الإيجاز الذي جاءت عليه الأحاديث النبوية هو إيجاز القصر، وهذا النوع لا يتأتّى إلّا لكبار البلغاء.

كقوله ﷺ: «الخراج بالضمان»[2] وقوله: «لا ضرر ولا ضرار»[3].

إذ جعل هذان الحديثان قاعدة فقهية كبيرة تبنى عليهما فروع كثيرة لا حصر لها.

ومما جاء على ذلك أكثر أحاديث الدعاء، فإن أدعيته ﷺ موجزة جامعة، كقوله عليه الصّلاة والسّلام: «اللّهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، وأعوذ بك من عذاب القبر»[4]، قال ابن القيم: «فجمع هذا الحديث الشريف في استعاذته ﷺ أصول الشر وفروعه، ومباديه وغاياته، وموارده ومصادره »[5].

ومما جاء من الإيجاز الأحاديث الجوامع وهي الأحاديث التي عليها مدار الدين، وهي ما يعرف بالأربعين النووية، ولا تزال محل عناية العلماء شرحا واستنباطا، حتى يوم الناس هذا، وإن ظاهرة الإيجاز في كلامه ﷺحرية بالدرس المستقل، فقد سئل أحد البلغاء ما البلاغة: فقال: "الإيجاز"[6].

ونخلص من هذا العنصر المتعلّق بإيجازه ﷺ بقول الزيات: « الإيجاز غالب على أسلوب الرسول ﷺ...لأن الإيجاز قوة في التعبير، وامتلاء في اللفظ، وشدة في التماسك، وهذه الصفات تلازم قوة العقل، وقوة الروح، وقوة الشعور، وقوة الذهن، وهذه القوى كلّها على أكمل ما تكون في الرسول ﷺ، ومن هنا شاعت جوامع الكلم في خطبه وأحاديثه، حتّى عدّت من خصائصه»[7].

-**ومن خصائص البيان النبوي حسن عرض الفكرة** الواحدة أو الأفكار واستيعابها للمعاني المقصودة، وجودة تسلسلها من ذلك حديث النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، وإن حمى الله

---

(1)-ينظر: ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار نهضة مصر –القاهرة ,ج80/1.

(2)-رواه ابن ماجة، السنن، دار التأصيل، بيروت، لبنان، ط1(1435هـ-2014م)، ح رقم: 2244، باب: التجارات، مج2، ص430.

(3)-رواه أحمد، في المسند، ج1، ص313، ، وابن ماجة، في السنن، ح رقم: 2340، والبيهقي، السنن، ج69/6، 70، 407.

(4)-رواه البخاري، في الصحيح، ح رقم: 6367، باب: ''التعود من فتنة المحيا والممات'' ص 1587.

(5)-ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ج326/2.

(6)-ينظر: أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح: علي البجاوي، وأبو الفضل إبراهيم، ط1(1371هـ-1952م)، ص175.

(7)-حسن الزيات، وحي الرسالة، ج79/3.

محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»[1].

يعرض هذا الحديث لبيان الحلال والحرام في الشريعة، وأنهما واضحتان بيّنتان، ثم يتطرق إلى ذكر المشتبهات لأخذ الحيطة والحذر، ثم شّبه المكلف بالراعي على سبيل نقل شيء عقلي في قالب المحسوس، وأما الحمى فمحارم الله، وأما القلب فهو مصدر الصلاح إذا ابتعد عن المحارم واتّقى الشبهات.

وقد نبّه الجرجاني إلى أن الكلام البليغ يدل على نفسه بحسنه كما ينوه بمقام منشئه يقول: «ومنه-أي الكلام-ما أنت ترى الحسن يهجم عليك منه دفعة، ويأتيك منه ما يملأ العين ضربة، حتى تعرف من البيت الواحد مكان الرجل من الفضل، وموضعه من الحذق، وتشهد له بفضل المنّة وطول الباع»[2].

**- وهناك خصائص تحفّ بلغة الحديث ونظمه.** كوسائل مكملة للفصاحة، إذ كان لها أثرها الكبير في نفوس المستمعين منها: **حسن منطقه ﷺ**، فكما صان الله تعالى لسان نبيه من التكلّف، فقد نزّه نطقه من عيوب الحروف ومخارجها، وحماه من تعقيد الصوت، وغيرها من العيوب التي تفسد البيان[3].

فما كان النبي ﷺ، في الحديث استعجالا بعضه على إثر بعض، فيلتبس على السامع، أو يعزب منه شيء.

ومن ذلك استعانته ﷺ، في تثبيت المعاني وإيضاحها بالإشارة بيده وأصابعه مناسبة للمعنى، من ذلك ما رواه سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بعثت أنا والساعة كهذه من هذه، أو كهاتين»[4] وقرن بين السّبابة والوسطى.

ويدخل في هذا أيضا ما كان **يخطه ﷺ أو يرسمه** تصويرا للمعاني.

ويدخل في هذا أيضا **تقسيم الكلام**، وهو ما يعين في ضبط الكلام البديع واستيعاب أقسامه وحفظها، والتقسيم من أنواع البديع المعنوي عند البلاغيين، ومن ذلك قوله ﷺ: « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ألا إله الا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث، النفس بالنفس، والثيب الزاني المفارق لدينه التّارك للجماعة »[5].

فالتقسيم يحصر المسائل ويجمعها، وهو أسرع حفظا وأبطأ نسيانا[6].

---

(1)-أخرجه البخاري، في صحيحه، ح رقم: 52، باب، ''فضل من استبرأ لدينه "، كتاب الإيمان، ص 23 . ومسلم، في صحيحه ح رقم: 1599/107، باب: ''أخذ الحلال وترك الشبهات"، كتاب: "المساقاة ".

(2)-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر، ص88.

(3)-ينظر الجاحظ، البيان والتبيين، ج39/1 في عيوب الخطيب .

(4)-رواه مسلم، في الصحيح، ح رقم: 867، كتاب: " الجمعة"، ص385.

(5)-أخرجه البخاري، في صحيحه، ح رقم 6878، باب: قول الله تعالى << النفس بالنفس >> المائدة 45، كتاب: الدّيّات. واللفظ له.

(6)-ينظر: القزويني، التلخيص، ص135.

إن التكرار، والتقسيم، واستعمال الأيدي والأصابع، واختلاف هيئة المتكلم لإيصال المعاني وتثبيتها في النفوس هو طبقة من البلاغة ومرتبة من البيان، كـما أثر على البلغاء الأوائل[1].

فأما **الحركات والإشارات** –على الخصوص–والرسم والخط فإنها من ضروب ما يعرف اليوم بوسائل الإيضاح، وهي لدى التربويين من الطرق التعليمية، وبذلك تكون السنة النبوية سابقة في هذا المضمار، ويذكر الجاحظ أن الإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغني عن الخط .... هذا ومبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان[2].

ويتصل بهذا أيضا **سكوته ﷺ في** بعض ما يسأل عنه، كما إذا لم يكن لديه جواب فيسكت انتظارا لنزول الوحي، أو يرى أنّ السامع قد فهم من مجرد السكوت، أو يكون السؤال في غير محله، من ذلك ما ورد في حديث أبي هريرة . في الرجل الذي سأل النبي ﷺ وهو يحدّث متى الساعة ؟ فلم يجبه، ثم قال ﷺ: «أين أراه الرجل الذي سأل عن الساعة؟، قال: : «ها أنا يا رسول الله» فقال عليه الصلاة والسلام: «فإذا ضيّعت الأمانة فانتظر الساعة»[3].

وقد ذكر أرباب البيان أن البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، ومنها ما يكون في السكوت[4].

كما تجد في حديثه ﷺ من الفنون البلاغية ضروبا، ومن أنواع المعاني شيئا عجيبا، فتجد أساليب التوكيد والتشويق والإجمال، والتفصيل، وأساليب القصر والحذف والذكر، ومن روائع التشبيهات والكنايات والتمثيل والاستعارات ما يثير النفوس، ويؤثر في القلوب، فمن تشبيهاته مثلا قوله ﷺ: «ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»[5].

فكما تتأثر أعضاء الجسد إذا اعتلّ أحدها أو مرض، فكذلك المؤمنون، وهذا التشبيه يمثل قوة الإيمان والأخوّة والاتحاد.

ومن الاستعارات قوله ﷺ: «ارفق يا أنجشة –ويحك– بالقوارير»[6] يريد: النساء، فهي استعارة لطيفة، وشبّههن بالقوارير لأمور ثلاث:

---

[1]–ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ج1/ 78–79.

[2]–ينظر: المصدر نفسه، ج1/78–79 .

[3]–أخرجه البخاري، في صحيحه، ح رقم: 6496.

[4]–ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ج1/115

[5]– لم أعثر على تخريجيه.

[6]–رواه مسلم، في صحيحه، ح رقم: 3223، كتاب الفضائل، ص1096، و لفظه في مسلم: "...رويدك سوقا بالقوارير".

لما هن من حفظ الأجنحة، والوعاء كالقارورة تحفظ ما فيها.

ولاختصاصهن بالصفاء والصقالة والحسن والنضارة.

ولما فيهن من الرقة والمسارعة إلى التغير والانكسار، كما يسارع ذلك إلى القارورة لرقتها.

فانظر كيف جمعت هذه الاستعارة في الحديث كل هذه المعاني.

كما تجد في حديثه ﷺ من بدائع البديع، كالسجع والأسلوب الحكيم والجناس كقوله ﷺ: « إنما الماء من الماء »[1] وكقوله ﷺ: « الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة »[2] إلى غير ذلك من الأنواع البلاغية التي يزخر بها الحديث النبوي الشريف، بل هي عمدة بنيانه، وأسس أركانه، وليس الغرض في هذا المقام الحصر وإنما هو التمثيل.

**ب–مبتكرات الحديث النبوي الشريف:**

إن من أهم ما يلفت النظر ويستوقف الباحث في السنة النبوية مبتكرات الحديث[3] وهي الأساليب الجديدة التي لم يسمع بها في كلام العرب قبل النبي ﷺ، وهي جديرة الدرس والتحليل.

يقول الجاحظ: «وسنذكر من كلام رسول الله ﷺ ما لم يسبقه إليه عربي، ولم يشاركه فيه أعجمي، ولم يدع لأحد ولا ادّعاه أحد، مما صار مستعملا ومثلا سائرا»[4].

وابن دريد في المجتنى: «باب ما سمع من النبي ﷺ، ولم يسمع من غيره من قبل»[5]، والقاضي عياض في الشفاء: «وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق اليها، ولا قدر احد ان يفرغ في قالبه عليها»[6].

من هذه الأحاديث قوله ﷺ «حمي الوطيس»[7]. وقوله: «لا يلدغ المرء من الجحر مرتين»[8]. وفي المسلم والكافر: «لا تراءى ناراهما»، وقسمه بلفظ « والذي نفسي بيده»[9]، ولم يسمع هذا القسم من قبل. ومن

---

(1)–رواه مسلم، المصدر نفسه، ح رقم: 343، كتاب: الحيض، ص165، 166.

(2)–رواه البخاري في صحيحه، ح رقم: 344، كتاب: المناقب، ص 895.

(3)–أطلق عليها هذا المصطلح مشايعة لابن عاشور في استعماله مصطلح مبتكرات القرآن في تفسيره التحرير والتنوير.

(4)–الجاحظ، البيان والتبيين، ج15/2

(5)–أبو بكر محمد بن دريد، المجتنى، الهند، ط3(1382 هـ–192م) ص02

(6)–القاضي عياض، الشفاء، تح: علي البجاوي، دار الكتاب العربي(1404هـ –1984م) ج105/1.

(7)–رواه مسلم في الصحيح، ح رقم: 1775، باب: غزوة حنين، كتاب الجهاد والسير، ص852.

(8)–المصدر نفسه، ح رقم: 2998، كتاب الزهد والرقائق، ص1364.

(9)–المصدر نفسه، ح رقم: 2509، كتاب فضائل الصحابة، ص1170. وح رقم: 1436، كتاب النكاح، ص664. ح رقم: 222، كتاب الإيمان، ص120.

العلماء وشراح الحديث من ينبه إلى هذه المبتكرات فيضيف الى ما ذكره السابقون كابن الأثير الذي قال عنه قوله ﷺ « وهل يكبّ الناس في النار على وجوههم أو مناخرهم إلا حصائـد ألسنتهم»[1] قال: «شبّه الألسنة وما تمضي فيه الأحاديث التي يؤاخذ بها بالمناجـل التي تحصد النبات من الأرض: وهذا تشبيه بليغ عجيب لم يسمع إلّا من النبي ﷺ»[2].

وكابن عاشور الذي يقول عند حديث النبي ﷺ: « قطعتم ظهر الرجل»[3]:, «هذا من بليغ الكلام النبوي، ولم أعرف سابقا له في كـلام العرب، فهـو مما انفرد به الرسول ﷺ وهو تمثيل بديع»[4].

ـــومما يستوقف المتأمل أن الرسول ﷺ على كونه تبوّأ من الفصاحة ذروتها، ومن البلاغة قمتها إنه لا يفتخر بذلك، ولا يفاخر ولا يطاول به الخطباء أو يتحرى به الشعراء كما هي العادة عند البلغاء المتصرفين في فنون القول كيف وقد أوتي ﷺ ماهو أعظم من ذلك، فلم يفخر به، وهو القائل: «أنا سيد ولد آدم، ولا فخر"[5].

أما قوله ﷺ: «أعطيت جوامع الكلم»[6]. فهو من قبيل فائدة الخبر –كما يقـول البلاغيون – أي مجرد الإخبار وليس الغرض الفخر قطعا، لأن مدار الأمر كله عنده ﷺ هو التبليغ، وما امتاز به ﷺ من فصاحة وبلاغة ما هي إلا وسيلة غايتها عقدية محضة .

### 3–الحديث النبوي الشريف والدرس البلاغي:

اعتنى البلاغيون قديما وحديثا بالحديث النبوي، واحتفوا به وما فتئوا يوصون الكتاب والشعراء، وسائر البلغاء بالاستكثار من حفظ الأحاديث إلى جانب حفظ القرآن الكريم لتقوى أساليبهم وجعلوا ذلك من أسباب الإبداع في الكتابة، قال شهاب الدين الحلبي أنه أول ما يبدأ به من ذلك –أي طالب صناعة الكتابة والإنشاء– حفظ كتاب الله وإدامة قراءته، ويتلو ذلك: الاستكثار من حفظ الأحاديث النبوية صلوات الله علي قائلها وسلامه، وخصوصا في السير والمغازي والأحكام، والنظر في معانيها وغريبها وفصيحها[7] .

وقال ابن الأثير الحلبي: «وليس له وصول–أي: المنشئ والبليغ– إلى بلوغ مقاصده من مخاطبة كل أحد بما يليق به والتمكن في صناعته إلا إذا استعد لذلك بتحصيل أصول يرجع إليها، فمنها: أن يحفظ كتاب الله تعالى،

---

(1)–رواه الألباني، صحيح الجامع، ح رقم: 205.

(2)–ابن الاثير، المثل السائر، ص241.

(3)–رواه البخاري، ح رقم: 6060، كتاب الأدب، ص1517–1518.

(4)–الطاهر بن عاشور، النظر الفسيح عن مضائق الأنظار في الجامع الصحيح، دار سحنون، تونس، ط1، (1428هـ–2008م)، ص231.

(5)–رواه مسلم بنحوه، في الصحيح، ح رقم: 194، كتاب الإيمان، ص111.

(6)–المصدر نفسه، ح رقم: 523، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ص237.

(7)–ينظر: شهاب الدين الحلبي: حسن التوسل إلى صناعة الترسل ,المطبعة الوهبية ,مصر، 1318 هـ,ص

ومنها أن يحفظ جملة من الأحاديث النبوية لفائدتين: إحداهما: تبركا بالحديث، والثانية: السلوك به مسلك كتاب الله العزيز باستعماله في كلامه مكان الاستشهاد به[1].

ومن دلائل حفاوة البلاغيين بالحديث النبوي أنهم يستشهدون به على إثبات القواعد البلاغية في علوم البلاغة الثلاث: المعاني والبيان والبديع، كما يلاحظ في كتب هذا الفن وأصوله، كالبيان والتبيين للجاحظ (ت255هـ)، والصناعتين للعسكري (395)، والدلائل والأسرار لعبد القاهر الجرجاني (ت739)، والتبيان للطيبي (ت 743هـ) كما بلغ الاستشهاد بالحديث قمته عند ابن الاثير (ت 638هـ) في المثل السائر، والعلوي (ت749هـ) في الطراز.

ومهما يكن فإن موقف البلاغيين بعامة من الحديث خير من موقف النحويين، فإن كثيرا من هؤلاء لا يستشهدون بالحديث عند إثبات الأحكام النحوية، بل تشدّدوا في قبوله لزعمهم أن الحديث ليس عين كلام النبي ﷺ، وإنما هو مروي بالمعنى[2] .

## 1-الجاحظ (ت255هـ):

تكلّم الجاحظ عن البيان النبوي، ووضع له وصفا شاملا، دقيقا وعميقا –كما تقدم كلامه سابقا، وقرر أن ما ذهب إليه من وصف كلام النبي ﷺ – هو الحق، وإنه لم يتكلّف في مدح كلامه ,ويأتي الجاحظ بنماذج من أحاديثه ﷺ ويقوم بمقارنة أسلوبية بينها وبين أقوال بعض الشعراء، مقررا من ذلك فضل كلامه ﷺ على غيره من البشر.

## 2-الشريف الرضي: (ت 406هـ):

ألّف الشريف الرضي كتابا مستقلا في البيان النبوي سماه "المجازات النبوية"، قال في مقدمته «إنه رغب في عمل كتاب يشمل على مجازات الآثار الواردة عن رسول الله ﷺ إذ كان فيها كثير من الاستعارات البديعية، ولمع البيان الغريبة، وأسرار اللغة اللطيفة، يعظم النفع باستنباط معادتها، واستخراج كوامنها، واطلاعها على أكمتها[3] وأكنانها[4] وتجريدها من خللها[5]، وأجفانها»[6].

---

[1]-إسماعيل بن الأثير الحلبي، جوهر الكنز، تح: محمد زغلول سلام، دار المعارف الإسكندرية، ص 29-30.

[2]-ينظر: كتاب: خديجة الحديثي، موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف.

[3]-الأكمة: جمع كمام، وهو الغطاء، ينظر: ابن منظور, لسان العرب، مادة :"كمم".

[4]-الكنان كل ما يرد الحر والبرد من البنية والغيران .

[5]-الخلل: جمع خل وهي حقن السيف المغشى بالادم، وبطانة يغشى بها حقن السيف تنقش بالذهب، ينظر: العجم الوسط (خل)

[6]-الشريف الرضي، المجازات النبوية، تصحيح: مهدي هو شمند، دار الحديث، ط1(1422هـ)، ص 27

كما ذكر في مقدمته أنه أشار إلى مواضع النكت، ومواقع الغرض بالاعتبارات الوجيزة، والايماءات الخفيفة، وذكر أن ما فاته اكثر مما وقع عليه[1]، وانه اعتمد على كتب غريب الحديث المعروفة واخبار المغازي المشهورة، ومسانيد المحدثين الصحيحة .

وذكر أنه سيضيف في كتابه جملة من كلامه عليه الصلاة والسلام الموجز الذي لم يسبق الى لفظه، ولم يفترع من قبله[2] ومجموعة الاحاديث الرئيسية التي درسها في كتابه (361) حديثا كما ذكر احاديث أخرى اثناء شرحه للاحاديث السابقة .

وكتاب الشريف الرضي يعد محاولة رائدة لدراسة الأحاديث النبوية من الوجهة البيانية، ويمتاز بسهولة العبارة والايجاز وقد استعمل بعض المصطلحات البيان مثل التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية دون التعرض لما يدخل تحت كل مصطلح من المصطلحات السابقة من أقسام، وكان يستحسن بعض الأنواع البيانية كالاستعارة، يقول: «إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا»[3]، وهذا الكلام من محاسن الاستعارات، وبدائع المجازات، لأنه عليه الصلاة والسلام جعل الإسلام غريبا في أول أمره تشبيها بالرجل الغريب الذي قل أنصاره، وبعدت دياره، لأن الإسلام كان على هذه الصفة في أول ظهوره، ثم استقرت قواعده، واشتدت معاقده، وكثر أعوانه وضرب جيرانه»[4] وقوله عليه الصلاة والسلام: «وسيعود غريبا» أي يعود إلى مثل الحال الأولى في قلة العاملين بشرائعه، والقائمين بوظائفه لا أنه–والعياذ بالله– تمحى سماته، وتدرس آيته»[5].

ومن ذلك قوله في الاستعارة «ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في حديث يذكر فيه أشراط الساعة «فعند ذلك تقيء الأرض أفلاذ كبدها»[6] وهذه من الاستعارة العجيبة، لأنه عليه الصلاة والسلام شبه الكنوز التي استودعتها بطون الأرض بأفلاذ الكبد، وهي شعبها وقطعها، لأن شعب الكبد من شرائف الأعضاء الرئيسية، فكذلك الكنوز من جواهر الأرض النفسية، ولما شبهها عليه الصلاة والسلام بأفلاذ الكبد من الوجه الذي ذكرناه، جعل الأرض عند إخراجها كأنها تقيأت ودسعت[7] بما استودعته منها»[8].

---

[1]–ينظر: المصدر نفسه، ص 28

[2]–ينظر: المصدر نفسه ص 29

[3]–رواه مسلم في صحيحه، ح رقم: 145، كتاب، الإيمان، ص 77

[4]–ينظر: الشريف الرضى، المجازات النبوية، ص 47

[5]–ينظر: المصدر نفسه، ص 47

[6]–رواه مسلم في صحيحه، ح رقم: 1013، كتاب –الزكاة–، ص 450.

[7]–الدسع: الدفع.

[8]–ينظر الشريف الرضى، المصدر السابق، ص 282.

وخلاصة القول: إن الشريف الرضى عني بالجانب البياني في الحديث النبوي الشريف من ناحية المجاز خاصة، ولم يتناول بقية الجوانب البيانية تناولا واسعا، كما أن المصطلحات البيانية عنده واسعة، ومتداخلة أحيانا، لأن علم البيان لم يدون حتى ذلك الوقت بقواعد منظمة.

## 3/ ابن رشق القيرواني (ت 463 هـ ):

استشهد ابن رشيق القيرواني في كتابه-العمدة-بكلام النبي ﷺ على القواعد التي يضعها، ولم يكن يعمد الى تحليل النص ودراسته بيانيا وإنما كان كلامه موجزا، وقد امتدح بيان النبي ﷺ فقال في باب الإيجاز: «وقال النبي ﷺ للأنصار: «إنكم تكثرون عند الفزع، وتقلّون عند الطمع»[1] وقال: «كفى بالسّلامة داء»[2] ومثل هذا كثير في كلامه ﷺ ومن أولى منه بالفصاحة ؟ وقد قال ﷺ «أعطيت جوامع الكلم» [3] ؟ ! [4]

وفي بداية كلامه في باب البلاغة يبدأ بكلام النبي ﷺ ثم يثني بكلام غيره، مما يدل على تعظيمه للبيان النبوي فيقول: «تكلم رجل عند النبي ﷺ النبي ﷺ «كم دون لسانك من حجاب؟» فقال: «شفتاي وأسناني» فقال له ﷺ: «إن الله يكره الإنبعاق في الكلام . فنظر الله رجلا أوجز في كلامه واقتصر على حاجته»[5].

وسئل النبي ﷺ فيم الجمال ؟ فقال: «في اللسان» يريد البيان».

وفي كلامه عن الاستعارة يقول: «والاستعارة كثيرة في كتاب الله عز وجل، وكلام نبيه ﷺ ويمثل لها بقوله ﷺ «الدنيا حلوة خضرة» [6]، وقوله: «رب تقبل توبتي واغسل حوبتي» [7]، ويقول عقب هذا الحديث «فغسل الحوبة[8] استعارة مليحة»[9].

## 4/عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ)

استشهد عبد القاهر بالحديث النبوي، وقد أتى بأحاديث كثيرة في كتابة أسرار البلاغة، أما كتابه –دلائل الإعجاز – فكانت أحاديثه قليلة.

---

[1]-لم أعثر على تخريجه.

[2]-ينظر: الصنعاني، التنوير في شرح الجامع الصغير، ج138/8.

[3]-سبق تخريج الحديث، ينظر: ص4.

[4]-ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج191/1.

[5]-لم أعثر على تخريجه.

[6]-رواه مسلم، ح رقم: 2742، كتاب: الرقاق، ص 125.

[7]-رواه الألباني في صحيح الجامع، ح رقم: 3485.

[8]-الحوبة: الإثم والحاجة والهم. ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة: حاب.

[9]-ابن رشيق، العمدة، 191/1.

وقسم عبد القاهر المعاني قسمين: عقلي وتخيلي، وقال: «فالذي هو العقلي على أنواع: أولها: عقلي صحيح مجراه في الشعر والكتابة والبيان والخطابة مجرى الأدلة التي يستنبطها العقلاء والفوائد التي يثيرها الحكماء، ولذلك تجد الأكثر من هذا الجنس منتزعا من أحاديث النبي ﷺ وكلام الصحابة ﷺ ومنقولا من السلف الذين شأنهم الصدق، وقصدهم الحق، أو ترى له أصلا في الأمثال القديمة، واحكم المأثورة عند القدماء»[1] ومن الأحاديث التي أوردها الجرجاني قوله ﷺ: «الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة»[2] أو «الناس لا تجد في الناس راحلة» كان ظاهر التعسف» [3].

وكما يقول في الدلائل متحدثا عن علي ﷺ أنه قال: «ما سمعت كلمة عربية من العرب إلا وسمعتها من رسول الله ﷺ وسمعته يقول: «مات حتف أنفه»[4] وما سمعتها من عربي قبله»[5].

والخلاصة أن عبد اقاهر الجرجاني كان سيشهد بالحديث النبوي في تقريره للقواعد البلاغية التي يضعها، وقد كانت شواهده من الشعر أكثر من شواهده من الحديث.

## 5/ ضياء الدين بن الأثير (ت 622 هـ):

استشهد بن الأثير في كتابه –المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر بالحديث النبوي كثيرا، وعد الحديث آلة من آلات البيان، وهي عنده ثمانية: هي: «النوع السابع: حفظ ما يحتاج إليه من الأخبار الواردة عن النبي ﷺ والسلوك بها مسلك القرآن الكريم في الاستعمال»[6].

وكان له عناية بحفظ الحديث ومدارسته، فكان يستشهد به على القواعد التي يضعها، فقد قسم التشبيه إلى أربعة أقسام، ومنها تشبيه مركّب بمركب، وقال فيه: «أما القسم الثاني، وهو تشبيه المركب بالمركب، فمما جاء منه مضمر الأداة ما يروى عن النبي ﷺ في حديث يروى عن معاذ بن جبل ﷺ، وهو حديث طويل يشتمل على فضائل أعمال متعددة، ولا حاجة لإيراده ههنا على نصّه، بل نذكر الغرض منه، وهو أنه قال له رسول الله ﷺ: «أمسك عليك هذا» وأشار إلى لسانه، فقال معاذ: أو نحن مؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: « ثكلتك أمك يا

---

[1]–عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص241.

[2]–رواه مسلم في صحيحه، ح رقم: 2547، كتاب البر والصلة والآداب، ص1185.

[3]–عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص100-101.

[4]–ينظر: الهيثمي، مجمع الزوائد، ج279/1.

[5]–عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص404.

[6]–ابن الأثير، المثل السائر، ج41/1. وينظر: 61/1.

معاذ، وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنّم إلا حصائد ألسنتهم؟»[1]. فقوله «من حصائد ألسنتهم» من تشبيه المركب بالمركب، فإنه شبه الألسنة، وما تمضي فيه من الأحاديث التي يؤاخذ بها بالمناجل التي تحصد النبات من الأرض»[2]. و ابن الأثير من أكثر البلاغيين استشهادا بالحديث النبوي الشريف في كتابه المذكور.

## 6-يحي بن حمزة العلوي(745هـ):

أشار العلوي إلى فضيلة البيان النبوي، وقال: «الفضيلة الأولى: أن الرسول ﷺ مع ما أعطاه الله من العلوم الدينية، وخصّه بالحكم، والآداب الدنيوية فلم يفتخر بشيء من ذلك، فلم يقل أنا أفقه الناس، ولا أنا أعلم الخلق بالحساب والطب، بل افتخر بما أعطاه الله من علم الفصاحة والبلاغة فقال ﷺ: «أنا أفصح من نطق بالضاد»[3].

و قد أتى العلوي بطائفة من الأحاديث النبوية استشهد نها على القواعد البلاغية التي وضعها في كتابه، وكان يعلّق على بعضها بأحسن العبارات، من ذلك قوله بعد أن أورد طائفة من الأحاديث النبوية: «فلينظر المتأمل ما اشتملت عليه هذه الكلم الصغيرة من المعاني الجمّة، والنكث العديدة مع نهاية البلاغة، ووقوعه في الفصاحة أحسن موقع»[4].

## 7-شرف الدين الطيبي(ت743هـ):

اتّخذ الطيبي البلاغة العربية حجّة في فهم الحديث النبوي، واستنباط الأحكام ولو خالفت هذه الأحكام المستنبطة جمهور أهل الحديث، كما كشف الطيبي عن جوانب مهمة من البلاغة النبوية لم يقف الشارحون عليها قبله، كما صحّح بعض المفاهيم اللغوية التي تتصل ببلاغة المتكلّم، وذلك عند شرحه لقوله ﷺ: «إنّ العبد إذا وضع في قبره، وتولّى عنه اصحابه، وإنّه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه»[5] وهناك رواية عن البراء «فيجلسانه»[6]، بعد نقله لروايتين متعلقتين بأن الفصحاء يستعملون القعود في مقابلة القيام، والجلوس في مقابلة الاضطجاع، ثمّ قرر أنّ المختار من المصطلحين هو «الإجلاس»، يقول: «وهو الحقّ و الأجدر ببلاغة الرسول ﷺ، ولعلّ من روى "فيقعدانه" ظنّ أنّ الفعلين ينزّلان من المعنى بمنزلة واحدة، ومن هذا الوجه أنكر كثير من

---

(1)-رواه الألباني، صحيح الجامع، ح رقم: 205، مج101/1.

(2)-ابن الأثير، المثل السائر، ج136/2.

(3)-ينظر: ابن كثير، الإحكام الكبير، ج95/3.

(4)-العلوي، الطراز، ج160/1.

(5)-رواه مسلم في صحيحه، ح رقم: 2870، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ص1313.

(6)-رواه أحمد، المسند، ح رقم: 18534، والبيهقي، في السنن، ح رقم: 396، وأبو داود، في السنن، ح رقم: 4753، عن البراء بن عازب.

السّلف رواية الحديث بالمعنى خشية أن يزلّ في الألفاظ المشتركة فيذهب عن المعنى المراد جانبا»[1].

كما قام بالموازنة بين معاني القرآن والسّنّة معتمدا على البلاغة العربية، مثال ذلك قوله في شرح حديث رسول الله ﷺ: «وإنّه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله»[2].

قال الطيبي: «شبّه حال الزّائغين من أهل البدع في استيلاء تلك الأهواء عليهم، وذهابها بهم في واد مود، وفي سراية الضلالة منهم إلى الغير بدعوتهم إليها، ثمّ تنفرهم من العلم، وامتناعهم من قبوله حتى يهلكوا جهلا، بحال ذلك الكلب وسريان تلك العلّة في عروقه ومفاصله، وحصول شبه الجنون منه، ثمّ تعدّيه إلى الغير بعقره إيّاه، وتنفره من الماء وامتناعه عنه حتّى يهلك عطشا»[3]، ويوازن هذه البلاغة النّبوية بقوله تعالى: ﴿**فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ**﴾[4].

و قد صرّح الطيبي بضرورة الاعتماد على علوم البلاغة في دراسة الكتاب والسّنّة في مواضع متعدّدة من كتابه[5]، وإنّ منهج الطيبي في فهم الحديث النبوي وفق قواعد البلاغة منهج صحيح، إذ شبّه أحاديث رسول الله ﷺ بالمفاتيح، إنّها مفاتيح الخير في الدّنيا والآخرة، ولو ملك حاملوها قدرة النّفوذ إلى مضمونها، واستطاعوا أن يحلّلوها التحليل الجيّد الذي يفهمه النّاس، لو ملكوا ذلك لفتحوا العالم من جديد، فكلام النبوّة بالغ التأثير في النّفس البشرية، وهو كأشعة الشمس التي ستنبت البذور في التربة الصّالحة مهما تراكم عليها التراب.

**الخاتمة:**

خلصت الدراسة إلى ما يأتي:

-إن عناية علماء الحديث بادئ الأمر كانت منصبّة على توثيق الحديث النبوي متنا وسندا، وسبقت هذه العناية عنايتهم بالجانب البياني والبلاغي فيه.

-إن الخصائص البلاغية التي أمتاز بها البيان النبوي تعدُّ من صميم البحث البلاغي وبخاصة في الجانب

---

[1]-ينظر: المرقاة، ج198/1، والتعليق، ج107/1.

[2]-ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع، ح رق: 2641، مج516/1.

[3]-الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن، تح: عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، ط1، (1417هـ-1997م)، ج641/1-642.

[4]-سورة الأعراف، 176.

[5]-للطيبي كتاب سماه "الكاشف عن حقائق السنن"، وهو شرح لكتاب مشكاة المصابيح الذي ألفه الخطيب التبريزي، ويحتوي على 6285 حديثا نبويا.

المفهومي المتعلق بمفهوم البيان والبلاغة والفصاحة، وتجلت هذه المفاهيم في خاصية الإيجاز ومطابقة الأحوال وتقريب المعاني بأيْسر الألفاظ.

-لم يفرد الحديث النبوي الشريف بدراسة بلاغية مستقلة حتى العصور المتأخرة بعد ضبط السنة وتدوينها.

-إنّ المقصدية اللغوية والعقدية التي تطبع الحديث النبوي الشريف ستفرض نمطا خاصا من التأليف ومنهجا مختلفا يسمى البلاغة النبوية، لأنّه لا يقف عند كونه مجرد خطاب تواصلي تنتهي وظيفته عند بلوغ الرسالة، بل يرتقى إلى بيان تشريع واعتقاد.

**قائمة المراجع:**


1. ابن الأثير، المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، دار نهضة مصر –القاهرة .
2. ابن الطيّب الفارسي، فيض نشر الانشراح من روض طيّ الاقتراح، تح: محمود يوسف فجّال، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الإمارات العربية المتحدة –دبي، ط1(1421هـ - 2000م).
3. ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت –لبنان ط3( 1418هـ - 1998م).
4. ابن ماجة، السنن، دار التأصيل، بيروت، لبنان، ط1(1435هـ-2014م). ابن
5. أبو بكر محمد بن دريد، المجتنى، الهند، ط3(1382 هـ-192م).
6. أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح: علي البجاوي، وأبو الفضل إبراهيم، ط1(1371هـ-1952م).
7. إسماعيل بن الأثير الحلبي، جوهر الكنز، تح: محمد زغلول سلام، دار المعارف الإسكندرية.

8. البخاري، في صحيحه، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ط1(1423هـ-2002م).
9. بدر الدين العيني، عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1 (1421هـ -2001م).
10. الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر)، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7(1418هـ-1998م).
11. جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1(1419هـ-1998م).
12. الشريف الرضي، المجازات النبوية، تصحيح: مهدي هو شمند، دار الحديث، ط1(1422هـ).
13. الشريف الرضي، المجازات النبوية، تصحيح: مهدي هوشمند، دار الحديث، ط1(1422هـ).
14. شهاب الدين الحلبي: حسن التوسل إلى صناعة الترسل المطبعة الوهبية مصر، 1318 هـ.
15. صحيح البخاري، ح رقم: 2842، باب (فضل النفقة في سبيل الله)، ص03.
16. الطاهر بن عاشور، النظر الفسيح عن مضائق الأنظار في الجامع الصحيح، دار سحنون، تونس، ط1، (1428هـ-2008م).
17. الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن، تح: عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، ط1، (1417هـ-1997م).
18. عبد القاهر الجرجاني, دلائل الإعجاز, تح: محمود شاكر, مكتبة الخانجي , القاهرة, ط2.
19. القاضي عياض، الشفاء، تح: علي البجاوي، دار الكتاب العربي(1404هـ -1984م).
20. مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، المكتبة العصرية، صيدا –بيروت، 2002م.